مقاصد الإسلام في تكوين الأسرة

د. بلقاسم شنوان

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

تمهيد :

إن مقصد الإسلامي من تكوين الأسرة في الإسلام تضمنه العلماء في أبحاثهم الأصولية، فقد قال ابن القيم : " ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم ...فليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته ولهذا شرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأفحشها وأصعبها ، ولو بلغ العبد أن امرأته أو حرمته قتلت كان أسل عليه من أن يبلغه أنها زنت ...إلى أن قال : وظهور الزنا من أمارات خراب العالم وهو من أشراط الساعة " [1] .

فقدسية الزواج لتكوين الأسرة يتماشى مع سنة الله في خلقه حيث نستشف ذلك من قداسة العلاقة الزوجية ومن الحفاظ عليها واحترامها وعدم خيانتها أو هدمها لأن نظام الحياة الزوجية يقتضي التكامل بين عنصري الحياة وهما الذكورة والأنوثة وتلك سنة الله في خلقه لا يشذ عنها إلا فاسق هالك .

فإن تجاذب الذكور والإناث إلى بعضهما من الفطرة التي أودعها الله في الجنسين لمقصد الخلافة في الأرض وبدون هذا التجاذب تضل سنة الله معطلة لا تتجه إلى تكوين أسرة ولا إلى إقامة بيت ولا إلى إنجاب أولاد ، ولكن الحنين والجاذبية الفطرية بين الذكور الإناث تتغلب ليتحقق قوله سبحان وتعالى ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم**

---

[1] - ينظر الجواب الكافي ص 191-193

مودة ورحمة))[2] فهي الفطرة تعمل وهي الخصائص تلبي داعي الفطرة العميقة في بنية الإنسان ومن ثم كان مقصد تكوين الأسرة في الإسـلام هـو النظـام الطبيعي المنبثق من أصل التكوين الإنساني .

الأسرة نواة المجتمع:

تعد الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فلا نكاد نرى مجتمعا من المجتمعات البدائية أو المحتضرة، إلا و كانت الأسرة هي الركيزة الأولى في قيام المجتمـع، فمن مميزات المجتمعات البدائية كمجتمع القبيلة و العشيرة أنها إذا التحمت هذه القبائل و العشائر ببعضها بعضا، استطاعت أن تبسط القبيلـة سـيطرتها و أن تكتسح غيرها، و إذا ضعف ترابطها و التحامها، غدت فريسـة للسـطو، و الإغارة عليها، حتى أننا نرى أن حكيما يبين قيمة الاتحاد لأبنائه و يشيد بعظمة الرابطة القوية للأسرة فيقول لأبنائه:

كونوا جميعا يا بني – إذا اعترى

خطب، و لا تتفرقوا ... آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا

و إذا افترقن تكسرت آحادا

وأما في المجتمعات المتحضرة فإن تجانس الأسرة و خضوعها لقانون واحـد و مذهب واحد يكون دعامة كبرى من دعائم سـيادتها و نجاحهـا، لأن هـذا التكامل يجعل منها قوة ذات منعة و سطوة، و من ثم أخذ المصلحون، و علماء الاجتماع يدعون إلى تكوين الأسرة السليمة في بنائها، القويـة في ترابطهـا، باعتبارها النواة الطبيعية، لأي مجتمع من المجتمعات.

نشأة الأسرة ومنهج الزواج:

---

2 – سورة الروم آية 2

تنشأ الأسرة عادة من ارتباط رجل بامرأة بما نسميه (**الزواج**) فهو الطريق السوي المشروع إلى قيام الأسرة، فلا نكاد نرى شريعة من الشرائع سماوية كانت أو وضعية إلا دعت إلى الزواج، و وضعت له الأصول و القواعد باعتبارها المتنفس الطبيعي لغزيرة من الغرائز التي أودعها الله في كيان الإنسان، و ما الزواج في حقيقته إلا تنظيم لهذه الغريزة، لتسير في تدفقها السلوكي و الجنسي، و لتتم الرسالة المرجوة من وراء هذه العلاقة من قيام البيت و تكوين الأسرة الرضية، و بذلك كرم الله بني أدم على الحيوان، و استخلفهم في أرضه، و سخر لهم ما في السماوات و ما في الأرض، لبناء مجتمعهم الصغير (**الأسرة**) و بناء مجتمعهم الكبير (**الدولة**).

و إذا قامت الأسرة على أسس وطيدة من حسن العلاقة بين الزوج و الزوجة، و بين الأبوين و الأبناء، و بين الأبناء و بعضهم بعضا، و انتهجت في حياتها القيم الفاضلة التي غرسها الإسلام من التراحم و المحبة، و أداء الواجب، و القيام بحق الله، و الحفاظ على شرعه ، وتنفيذ مناهجه، و حسن تنظيم العلاقات الفردية و الجماعية و الإنسانية فلا شك أنها ستسعد.و لا شك من أنه إذا شاعت روح الإيمان، و التوجيهات الثقافة، والقيم الأخلاقية و تأصلت بين الأفراد والجماعات يكون الانسجام الذي يواكب سلوكهم، و يصنع منهم المجتمع الفاضل القوي، الذي يحرص الإسلام على قيامه.

إن العطاء الحي بين أفراد الأسرة في داخلها، و بينها و بين المجتمع و مؤسساته من طرف ثان، يعمل على غرس القيم الصحيحة، و توثيق عرى الروابط، و يعمل على تكوين المجتمع الراقي الذي يتوخاه الإسلام.

لقد عمل الإسلام على ازدياد الشعور الطبيعي بالأسرة، و على تنمية هذه الآصرة بغرس كثير من المبادئ و الحقوق التي سنقف عليها في أثناء هذه

الدراسة، لنصل من وراء ذلك إلى تحقيق المقومات الفطرية و الإنسانية و الاجتماعية في حياة الأسرة، و التي يمكن أن نبلورها في الآتي:

المقصد أولا التناسل:

لقد أودع الله في هذا الجسد البشري غريزة بقاء الأصل الإنساني، و تلبية أشواقه و ميوله، و بذلك يتحقق هدف مزدوج من الأهداف التي قصد إليها الإسلام:

1 - **الشرط الأول منه:** ذاتي نفسي، ألا و هو (**حب البقاء**)، و الامتداد في شخص الأبناء، و الأحفاد، و صدق الله حيث قال :"**و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة**"[1].

2 - **الشرط الثاني:** اجتماعي رباني، و هو أبعد أثر، و أعمق معنى، ألا و هو (**بقاء النوع الإنساني**) و صدق الله حيث قال :"**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، و خلق منها زوجها، و بث منهما رجالا كثيرا و نساء، و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام**"[2].

و إذا كان الفرد لا يستطيع مواكبة و الزمن والدهور غير فترة قصيرة، فإنه يجتهد في استمرار مواكبة الحياة، لا بذاتها، و لكن بواسطة سلالته و ذريته، لأنهم ... امتداد طبيعي لخلوده، و حفظ اسمه و نسبه. و من ثم أنار الله بصيرة الإنسان ليميل إلى إشباع هذه الغريزة، غريزة حب التناسل التي تعد الثمرة الأولى في بناء الأسرة، و في ذلك يقول معقل بن يسار: إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال :"إني أحببت امرأة ذات حسب و جمال، و أنها لا

---

[1]- سورة النحل، الآية : 72.

[2]- سورة النساء، الآية : 1.

تلد، أفأتزوجها ؟ فقال :"**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**"[3].

و قد دعا الله عباده ليتوجهوا إليه بالدعاء كي يرزقهم الذرية الطيبة، و الولد الصالح، فقال سبحانه :"**و الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين**"[4]، فالإنسان في سبيل هذا البناء الأسري يكدح طول حياته، ليكفل حياتهم الزوجية وذريتة التي أتى بها إلى عالم الوجود، طالبا حياة رغيدة، و حتى يجد السعادة كل السعادة في هذا الكد والكفاح.

و هاهو ذا نبي الله زكرياء عليه السلام يضرب لنا القدوة الحسنة في سلوك هذا السبيل، فيقول :"**رب هب لي من لدنك وليا، يرثني و يرث من آل يعقوب، و اجعله رب رضيا** "[1]، فهذا الولي، و بمعنى أدق هذا الولد الذي يعتبر ثمرة هذا الترابط، ما هو في حقيقة أمره إلا عون للوالدين على دينهما، ودنياهما وعز لوالديه و أداة لرفع كلمة الله، والذود عن دينه وقوة لوطنه.

و فضلا عن ذلك فالولد ذخر في الدنيا و الآخرة للأبوين ، ففي الحديث :"**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، و علم ينتفع به، و ولد صالح يدعو له**"[2] و يشير الغزالي إلى ذلك فيقول: لقد أودع الله تحت تلك الشهوة حياتين: حياة ظاهرة و حياة باطنة، فالحياة الظاهرة، حياة المرء

---

(3)– شرح السنة 16/9، و قارن بأبي داود رقم 2050 في كتاب النكاح و النسائي 65/6 في النكاح، و احمد 158/3.

(4)– سورة الفرقان، الآية 74.

(1)– سورة مريم، الآية 6.

(2)– إحياء علوم الدين 31/2.

ببقاء نسله، فإنه نوع من دوام الوجود. و الحياة الباطنة، هي الحياة الأخروية، فإن هذه اللذة، أي لذة الجماع تحرك الرغبة إلى اللذة الكاملة في الآخرة"[3].

المقصد الثاني العمران:

لا شك أن الأسرة التي تترسم في حياتها العائلية هدي السماء، و تتمسك بأسلوب التشريع الإسلامي، ستتحقق لها جميع مقومات العزة و المنعة، و إذا تعدد هذا الصنف من البيوتات في دولة من الدول، أو في مجتمع من المجتمعات أدى ذلك إلى استقرار حياة الدولة و رقيها، و تبوأت مترلتها الجديرة بها تحت الشمس قوة و سيادة، لأنها ستتصرف بكل إمكاناتها إلى أبواب الإنتاج و التنمية و العمران في جميع الميادين: الزراعية و الصناعية و العسكرية و الثقافية، و صدق الله حيث قال :"**هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها**".*

المقصد الثالث تهذيب الميول و الغرائز في الإنسان :

إن الإسلام يتوجه بالفرد إلى العمل على إشباع الغريزة الجنسية الملحة، التي لا تكاد تهدأ، حتى تنطلق من عقالها، و لكن هذا الإشباع يتم بواسطة الزواج، و هو الطريق القويم الذي رسمته الشرائع لحفظ الأعراض و صيانتها، و لا يتجاوز أي فرد حدود فطرته، و يسير سيرا طبيعيا متلائما بعضه مع بعض "**فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم.***

فالغريزة الجنسية تعد نوعا من الغرائز الفطرية التي زود الله بها الإنسان لبناء حياته، مثلها مثل الغرائز الأخرى التي لابد لها من الإشباع و الإعلاء. و طريق الإشباع مفتوح على مصراعيه، شريطة أن يسلك الإنسان طريقة الإعلاء المثلى في هذا الإشباع، و هي طريقة الزواج، فبهذه الطريقة يصل المشرع الكريم إلى المقاصد السامية التي تتناسب و كرامة الإنسان، و تنأى به عن الحيوان، و تبتعد

---

[3]– إحياء علوم الدين: 28/2.

به عن العدوان و الانحراف. و صدق الله، حيث قال :"**فاطر السماوات و الأرض، جعل لكم من أنفسكم أزواجا، و من الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه**"[1]، لأن هذا هو قانون الكون كله، و لابد فيه من التعمير و التكاثر، قال سبحانه :"**و من كل شيء خلقنا زوجين**"[2].

و يقول الغزالي رحمه الله تعالى : "و المقصود إبقاء النسل، و ألا يخلوا العالم من جنس البشر، و إنما خلقت الشهوة و الغريزة الجنسية، لتكون باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر، و بالأنثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في الاجتماع إلى اقتناص الولد بسبب الجماع .. و كانت القدرة الإلهية غير عاجزة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة و ازدواج، و لكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب"[3].

فالإنسان صاحب العقل الواعي، و الفكر المميز، و المنطق المستقيم لا يمكن أن يسلك طريق البهائم، و يترو كالوحوش، و إنما عليه أن يحقق قانون الفطرة بما يتفق و مركزه، و ما يتناسب و إنسانيته التي نالت حظا من تكريم الله :(**و لقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)[4] وذلك لتتحقق النتائج التي أرادها الله، و القانون السوي الذي يلبي دوافع هذه الرغبة هو الزواج. و في ذلك يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى :" إن الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور:

---

(1)– سورة الشورى، الآية: 11.

(2)– سورة الذاريات، الآية: 49.

(3)– إحياء علوم الدين: 25/2 (بتصرف.

4 – سورة الإسراء آية 70

أحدها : حفظ النسل، و دوام النوع، إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم.

ثانيها: إخراج الماء الذي يضر احتباسه و احتقانه بجملة البدن.

ثالثها: قضاء الوطر، و نيل اللذة، و التمتع بالنعمة "[4]. و النعمة التي أشار إليها ابن القيم، هي: إشباع الغريزة الجنسية عن طريقها المشروع في الآية الكريمة :"**و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، و جعل لكم من أزواجكم بنين و حفدة، و رزقكم من الطيبات، أفبالباطل يؤمنون، و بنعمة الله هم يكفرون**"[5].

المقصد الرابع تهذيب الغريزة الجنسية:

لقد أخذ المسلمون بأدب تهذيب الإسلام في معالجة الغريزة الجنسية و إشباعها إشباعا طبيعيا ليس فيه إفراط، و لا تفريط ، وتلك سنة الإسلام في جميع إشباع الغرائز الأخرى وتهذيبها ، قال تعالى (**و كلوا واشربوا و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) سورة الأعراف آية 31 . و من ثم سلمت للمسلمين صحتهم النفسية و الجسمية التي انحرف عنها كثير من الشعوب ذات الحضارات القديمة كأمم الفرس و الهند و الإغريق، و اضطربت فيها المسيحية، فقد دعت **الأولى** في شطر من تاريخها إلى حياة التقشف بعامة، و مجانبة الزواج بخاصة، "و حرمت النكاح استعجالا للفناء، و انتصارا للنور على الظلمة"[6]. و دعت في شطر من تاريخها على يد (مزدك) إلى الشيوعية في المال و النساء، و يصور ذلك الطبري فيقول :"افترض السفلة ذلك، و كاتفوا (**مزدك**) و أصحابه

---

[4]– انظر : زاد المعاد: 307/3.

[5]– سورة النحل الآية: 72.

[6]– ماذا خسر العالم: 38.

و شايعوهم، فابتلي الناس بهم .. و لم يلبث أهل فارس إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده، و لا المولود أباه، و لا يملك شيئا مما يتسع به"[7].

أما **الثانية**: فيقول عنها أبو الحسن الندوي :"لعل المواد الجنسية و المهيجات الشهوية لم تدخل في صميم ديانة مثلما دخلت في صميم الديانة الهندية .. حتى أصبح كثير من المعابد "**كزاخير**" يترصد فيها الفاسق ما يطلبه.و ينال فيها الفاجر بغيته"[1].

و أما **الثالثة**: فيقول عنها مصطفى السباعي :"لقد تبذلت المرأة في أوج الحضارة اليونانية، و اختلطت بالرجال .. فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنى أمرا غير منكر، و حتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة و الأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب و الفن، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل و المرأة و من آلهتهم (**أفروديت**) التي خاضت ثلاثة آلهة، و هي زوجة الله واحد"[2].

أما عن **الرابعة**: فقد انحرف المسيحيون في سلسلة طويلة من الخطايا و الآثام فقد دعوا إلى الرهابنية، و الامتناع عن الزواج، حتى قال الله عنهم :"**ورهابنة ابتدعوها ما كتبناها عليهم**"[3]. و قد جاء في **إنجيل بولص**: أن من يزوج ابنته يأت عملا طيبا، و لكن من لا يزوجها يأت ما هو خير، و أنه من الخير أن يظل الإنسان أعزب إلا أن يخاف الوقوع في الخطيئة[4] "و كانت النتيجة

---

[7]– انظر: تاريخ الطبري. 98/2.

[1]– ماذا خسر العالم: 49.

[2]– المرأة بين الفقه و القانون: 14.

[3]– سورة الحديد، الآية: 57.

[4]– انظر: دراسة في أدب منحل: 39-40.

الطبيعية لهذا الحرمان و الكبت هو انتشار الفجور و الزنى، و قد ساعد على ذلك" سيل أقلام رجال الأدب ، و علماء الأخلاق و كتاب المسرحيات في فرنسا بوجه خاص، و أوروبا بوجه عام، يشيعون الفكر القائل بأن الحرية و التمتع بلذات الحياة حق فطري للإنسان، و من عدوان المجتمع على الفرد أن يقيد حقه هذا بسلاسل الأخلاق و التمدن"[5].

أما المسلمون فقد رسم لهم التشريع الإسلامي آدابا لم يصل إليها شعب من شعوب الأرض، من ذلك:

1- **حصن النفس من الفساد و الانحلال الخلقي و التفسخ الاجتماعي**، و ذلك لحفظ الفرج عن طريق قطع ثوران الشهوة، و دفع غوائلها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"**من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، و أحصن للفرج، و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**"[6]، و قال :"**من نكح فقد حصن دينه، و ليتق الله في النصف الآخر**"[7].

2- **حض الإسلام أولياء الأمور على تيسير أمر الزواج**، و عدم الغلاء الفاحش في المهور وعدم التعسف في الشروط والمطالب، قال رسول الله :"**إذا أتاكم من ترضون دينه و خلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، و فساد كبير**"[8]، **و قال لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح**"[9].

---

[5]- انظر: الحجاب للمودودي: 55-59.

[6]- انظر: شرح السنة للبغوي: 3/9 و قارن بالبخاري: 92/9 في كتالب النكاح، و صحيح مسلم رقم: 1400 في كتاب النكاح.

[7]- انظر: إحياء علوم الدين للغزالي: 28/2.

[8]- شرح السنة للبغوي: 10/9، و قارن بالترمذي رقم 1085 في كتاب النكاح.

[9]- إحياء علوم الدين: 29/2.

3-**طلب الحلال ، و في ذلك يقول الإمام الجنيد** :"المرأة قوت لابد منه، فإذا اشتهت نفسك امرأة ما، وقع عليها نظرك، فعليك بالإسراع إلى نكاح زوجتك.و في ذلك يروي جابر بن عبد الله، فيقول: إن النبي صلوات الله و سلامه عليه، رأى امرأة فأعجبته فدخل على زينب[1] فقضى حاجته ثم خرج فقال :"**إذا المرأة أقبلت، أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله، فإن معها مثل الذي مع تلك المرأة التي رآها فأثارته.**[2]

4- **الإيناس و العشرة:** لاشك أن في الزواج نوعا من الترويح عن النفس، و طرد الوحدة و الوحشة، و فيه نوع من الإيناس و راحة القلب، إذ النفس ملول، و تود التنقل من حال إلى حال، و في الاستئناس بالمرأة و السكن إليها ما يزيل التعب، و يعين على الهموم، و صدق الله حيث قال :"**ليسكن إليها**"* و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"**حببت إلي من دنياكم ثلاث: النساء، و الطيب، و جعلت قرة عيني في الصلاة** "[3].

5- **تفرغ القلب للعبادة و العمل**، و تهيئة أسباب المعيشة، و لا شك أن المرأة الصالحة عون على الدين و الدنيا، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"**ليتخذن أحكم قلبا شاكرا، و زوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته**"[4].

---

[1]- يعني: زوجته زينب بنت جحش، و في رواية أنه دخل على زوجته سودة.

[2]- انظر شرح السنة: 18/9، و صحيح مسلم رقم 1403 في النكاح، و أبو داود رقم 2151، و مسند أحمد 330/3.

[3]- انظر: إحياء علوم الدين: 31/2.

[4]- انظر: إحياء علوم الدين للغزالي: 32/2.

6- القيام بحقوق الأسرة من إصلاحها و إرشادها، و السعي في سبيلها، قـال عليه الصلاة و السلام: **ما ينفقه الرجل على أهله صدقة، و إن الرجل ليؤجر في لقمة يرفعها إلى فم امرأته**"[5]، و قال: **إذا كثرت ذنوب العبد ابـتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه**[6]، و قال :"**من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا السعي على المعيشة**"[7].

7- **استمرار العمل بعد الموت:** ففي إنجاب الولد الصالح دوام لثواب الوالـد قال صلى الله عليه و سلم :"**إذا ما ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، و علم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**"[7] و إذا مات الولد طفلا، فهو ذخرة لأبويه يوم القيامة.

المقصد الخامس: التدريب على تحمل المسؤولية

يقصد الإسلام من وراء قيام الأسرة إلى نوع من التدريب على تحمل المسؤولية، و ذلك لتحقيق سلامة هذا البناء الذي شيده الفرد. و عمل على دعم أركانه، فهو مطالب بالسعي الدائب وراء الرزق، و هو مطالب برعاية هذه الأسرة، و القيام بحقوقها بما له من حق المسؤولية التي استحقها بالقوامة. و لابد لـه في سبيل ذلك من تحمل الأذى، و السعي إلى الإصـلاح، و الإرشـاد النفسـي والعملي بما ينفع أسرته في الدنيا و الآخرة، و من كتب الله له النجاح في تحمل هذه التبعات الجسام، و القيام بعبء هذه المسؤوليات، لا شك سيكون أنجـح

---

(5)– المصدر السابق: 33/2 و قارن بالبخاري، و مسلم، و الترمذي برقم 2117.

(6)– المصدر نفسه، و قارن بمسند احمد.

(7)– المصدر نفسه، و قارن بأبي نعيم في الحلية، و الطبراني في الأوسط.

(7)– انظر: شرح السنة للبغوي: 300/1، و صحيح مسلم رقم 1631.

في القيام بتبعات المجتمع الذي يستظل بظله، و يأوي بين أركانه. وفي هذا المعنى يقول الرسول الله صلى الله عليه و سلم في أعقاب عودته من إحدى غزواته "**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**" .

المقصد السادس:بث روح التعاون

فانطلاقا من المقصد السابق ، مقصد تحمل المسئولية، يتولد مقصد آخر، يعد دعامة من دعائم بناء الأسرة، و هو روح التعاون و الإحسان المشترك الذي يجب أن يلتزم به كل فرد من بقية أفراد الأسرة.

فالزوجة ستجد نفسها حينئذ مسوقة إلى مشاركة الزوج بروح المحبة إلى تحمل شطر من المسئولية في سبيل إنجاح كيان هذه الأسرة، فتقوم بتدبير المنزل ورعاية الأطفال، و القيام على حسن تنشئتهم، لتمكنهم من التربية القويمة التي يريدها الإسلام من تهيئة الوسط الصالح، و العش الهادئ الأمين.

المقصد السابع :النشأة السوية على التربية الإسلامية

فإذا تحقق هذا الأمر السابق، و التعاون البناء الذي أشرنا إليه في المقصد السادس ، شاعت في كيان الأسرة روح العزة، و ضمان النشأة السوية، و التربية الإسلامية القويمة التي تضفي عليها شرف النفس، و كرامة الخصال.لأن الأولاد في مثل هذه الأسرة قد شملتهم الوحدة، و أظلتهم السعادة فلم يكبروا ممزقين مشردين لا يعرفون أبا ولا أما ولا أسرة، و لا يشعرون بحنان الأب أو ألأم، و لا يكونون سبة أو وصمة عار في جبين مجتمعهم، لأنهم وجدوا الصدور الحانية، و الأسرة المستقرة التي تضامنت على توفير أسباب الطمأنينة حتى بلغوا أشدهم وكانوا أهلا لتحمل المسئولية. ولكن علينا أن نفهم أن السر في نجاح هذه الأسرة هو النشأة السوية المبنية على **تعاليم الإسلام ومبادئه** وعلى حكمة

وتشريع عريق[1]، و تفكير متزن، يتسم بالعقلانية، و ذلك حيث يشب الأولاد أعضاء صالحين في ثنايا المجتمع الإسلامي الذي استظلوا بظله، و احتواهم بين جنباته.

المقصد الثامن الحفاظ على المجتمع:

فالحفاظ على المجتمع من المقاصد التي اتجه إليها الإسلام من وراء تكوين الأسرة، فهي لبنة في سلامة المجتمع صحيا من العلل و الأدواء، التي تهدده في كل لحظة بالزوال و الفناء، فلا أمراض تنخر في كيانه، و لا خبائث تطحن أفراده، و لا إباحية توهن قواه، و تفتك بأبنائه، نتيجة شيوع الفاحشة، و الانغماس في حمأة الرذيلة، و استشراء الأمراض السرية من الزهري و السيلان تلك الأمراض التي تصيب الشعوب المتحللة في الصميم، و تقوض بنيانها، و تهدم أركانها، و تجعلها تهوي إلى دركات الانحطاط، و تقبع في الحضيض، فما قيمة مجتمع تحطم فيه كيان الأسرة، و قد تهتك نساؤها، و فجر شبابها، و استمرأت الشهوات الجنسية.

المقصد التاسع فضيلة الاختصاص:

فالمحافظة على الأنساب مقصد إسلامي وظاهرة اجتماعية إسلامية تدفع إلى الاختصاص، و التلاحم القوي بين رأسي الأسرة، و أعني بهما (**الزوج و الزوجة**) فاختصاص كل منهما بالآخر فيه نقاء النسل، و عدم تدنيسه، و فيه، الحفاظ على سلامة الإنسان، و طهارة الأسرة و ابتعادها عن الدنايا و الريبة، و انعدام لبواعث الشحناء و العداوة.

---

(1) – انظر: كتابنا المجتمع الإسلامي و أصول التربية.

المقصد العاشر سيادة مكارم الأخلاق:

فإن سيادة مكارم الأخلاق في الأسرة الإسلامية ينتج عنه لا تحلل و لا انحراف، و لا انزلاق إلى ما حرم الله، وإنما يكون عنوان الأسرة الخلق الفاضل، و القدوة الحسنة، وذلك بتقديم أبناء صالحين، و أمهات صالحات في جميع ميادين المجتمع يفاخرون بشرف الانتساب لآبائهم، و في ذلك دعم لكيانهم الذاتي، و كبريائهم النفسي، و شرفهم العائلي.

أما المجتمع الذي يعيش أفراده، وتعيش بيوتاته تحت إشباع الشهوة دون قيود أو قوانين تنظم ذلك، وتكون المرأة فيه على طريق الشيوع، فهو مجتمع و لا شك فاسد، و الأولاد فيه ليس لهم من هاد، و ليس لهم من ملاذ يأوون إليه، و لا يمكن لمثل هذا المجتمع أن يسود أو يرقى.

والخلاصة بعد عرض هذه المقاصد السالفة الذكر فإنه يتضح لنا أنها إذا طبقت في واقعنا المعيش

فلا شك أنها ستكون الطريق لتآلف الأسر، وتعاونها على بناء المجتمع الكبير القائم على إحقاق الحق، و بسط قيم الخير، واجتثاث غوائل الشهوات، و بواعث التحلل و الفساد و إيصاد الأبواب التي يطرقها الشيطان، ليوقع الإنسان فيها، فيجعله ينحرف و يضل سواء السبيل، وبذلك ترقى الشعوب، و تعمل مع بعضها بعضا على عمارة الكون، و تبادل المنافع و المصالح.

من أجل تكوين الأسرة المقدسة للزواج وتفضيله على العزوبة وذلك قصد رفع بناء الأسرة المسلمة ، وتأسيس المجتمع الطاهر العفيف الذي يقيم أسس المجتمع الداعي إلى الفضيلة والأخلاق الكريمة والسكن والرحمة . قاضيا فيه على بواعث الشر التي تتولد عن ثوران الغريزة الجنسية واختلاط المياه وضياع النسل وانقراض الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .